الأكاديمية
الإسلامية العلمية
lsa-eg.com

المستوى التمهيدي

أصول الدعوة والحسبة

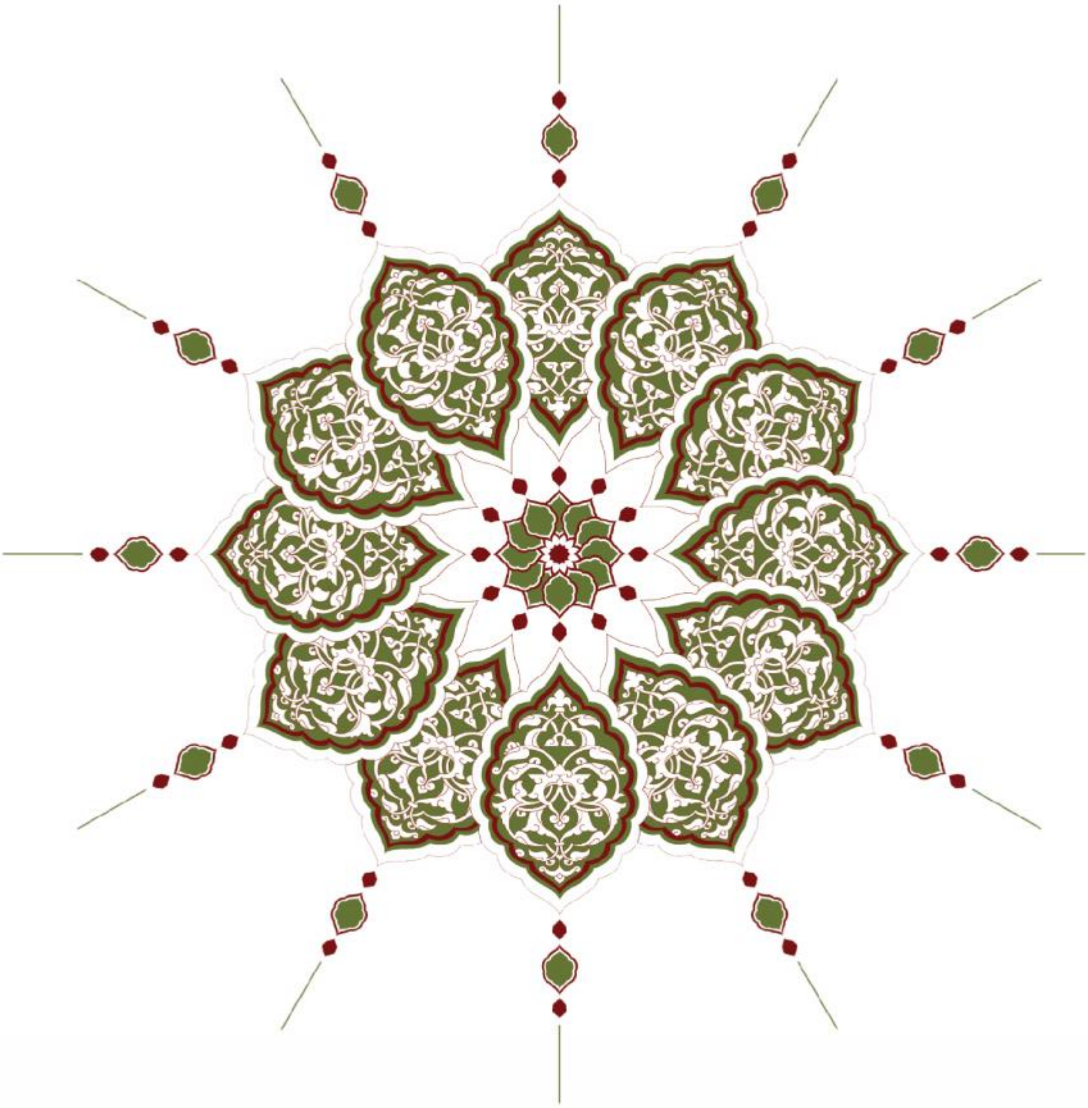
أصول الدعوة والحسبة

الأكاديمية
الإسلامية العلمية
Isa-eg.com

المستوى التمهيدي

أصول الدعوة والحسبة

أصل هذه المادة من
مناهج جامعة الإمام محمد بن سعود



بسم الله الرحمن الرحيم

مقرر: أصول الدعوة

وفيه ﴿ تمهيد وثلاثة مباحث ﴾

التمهيد : وفيه

- أوْلاً : الأهداف التعليمية
- ثانياً : مفردات المقرر
- ثالثا : المراجع

المبحث الأوْل : أصول الدعوة ووسائلها

المبحث الثاني : نظام الحسبة في الإسلام

تمهيد

أولاً: الأهداف التعليمية:

١.تزويد الطالب بالمعلومات إلّاساسية في علم الدعوة والحسبة

٢.تعريف الطلاب بنظام الحسبة في الإسلام

ثانياً: مفردات المقرر:

١- أصول الدعوة :

١.تعريف الدعوة إلي الله تعالي.

٢.أدلة وجوب الدعوة إلي الله تعالي.

٣.أهداف الدعوة إلي الله تعالي .

٤.فضل الدعوة إلي الله تعالي .

٥.تعريف الداعية إلي الله تعالي .

٦.صفات الداعية إلي الله تعالي وأخلاقه .

٧.تعريف المدعو .

٨.أصناف المدعوين.

٩.حقوق المدعوين وواجباهم .

١٠.تعريف الأسلوب .

١١.نماذج من أساليب الدعوة(الترغيب، الترهيب، القصة، الخطب ، المثل، الحوار، والجدل).

١٢.تعريف وسائل الدعوة إلي الله تعالي .

١٣.أنواع وسائل الدعوة إلي الله تعالي .

١٤.موضوعات الدعوة إلي الله تعالي (العقيدة ، الشريعة ، الأخلاق) .

١٥.قضايا دعوية : (الإعتماد على الكتاب والسنة ، التركيز علـــى المحكمـــات ، التدرج، البعد عن التعصب ، إنزال الناس منازلهم) ..

٢- الحسبة :

١ – تعريف الحسبة لغة واصطلاحا .

٢ – أركان الحسبة :

- المحتسب (تعريفه ، شروطه ، أدابه) .
- المحتسب عليه : (تعريفه ، شروطه) .
- الاحتساب ذاته : (درجاته ، أدابه) .

٣ – حكم الحسبة ، ومكانتها ، ونوعية فرضها .

٤ – مقارنة الحسبة بالولأيات الآخرى : (القضاء ، المظالم ، الشرطة) .

٥ – شبهات حول الحسبة .

٦ - نماذج من احتساب النبي ﷺ .

ثالثا : المراجع :

١.الدعوة وأخلاق الدعاة – سماحة الشيخ عبد العزبز بن باز - رحمه الله .

٢.الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها – د.احمد غلوش

٣.نظام الحاسبة في الإسلام – الشيخ عبد العزيز المرشد

٤.الحسبة – أ.د/ فضل الهي ظهير .

٥. مناهج جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الدورة التأهيلية .

المبحث الأول: أصول الدعوة ووسائلها

مقدمة

الدعوة إلي الله تعالي: وظيفة جليلة، وقربة عظيمة، لها منزلة عالية في الشريعة، ويكفيها شرفا ومنزلة كونها وظيفة الرسل واتباعهم إلي يوم القيامَّة.

قال تعالي: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أمَّة رَسُولًا أن اعْبُدُوا اللَّـهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: ٣٦] .

وقال تعالي: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أدْعُو إلي اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أنا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّـهِ وَمَا أنا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف: ١٠٨] .

وقال تعالي: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء: ١٦٥] .

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبعث الدعاة إلي الناس؛ ليعلموهم وليفقهوهم، وليرشدوهم إلي الحق، وإلي صراط مستقيم، بل أن الصحابة رضوان الله عليهم، فهموا أن الدعوة إلي الله تعالي واجبة، فكانوا يبادرون بسؤال الرسول صلى الله عليه وسلم تعليمهم وتفقيههم؛ ليقوموا بدعوة أقوامهم من خلفهم، بل كان من يسلم حديثا يدرك أهمية الدعوة إلي الله تعالي، وأن تبليغها واجب، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَدِمَ وَفْدُ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إنّ هَذَا الْحَيَّ مِنْ رَبِيعَةَ، وَقَدْ حَالَتْ بَيْنَنَا، وَبَيْنَكَ كُفَّارُ مُضَرَ، فَلَا نَخْلُصُ إلَيْكَ إلّا فِي شَهْرِ الْحَرَامِ ، **فَمُرْنَا بأمر نَعْمَلُ بِهِ، وَنَدْعُو إليه مَنْ وَرَاءَنَا** ، قَالَ: " آمركُمْ بِأَرْبَعٍ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أرْبَعٍ: الإيمان بِاللهِ "، ثُمَّ فَسَّرَهَا لَهُمْ، فَقَالَ: «شَهَادَةِ أن لَا الَهَ إلّا اللهُ وَأن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَأن تُؤَدُّوا خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ، وَأَنْهَاكُمْ

عَنِ الدُّبَّاءِ، وَالْحَنْتَمِ، وَالنَّقِيرِ، وَالْمُقَيَّرِ» زَادَ خَلَفٌ فِي رِوَايَتِهِ: «شَهَادَةِ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَعَقَدَ وَاحِدَةً [1] .

وقد بُوبَ عليه في صحيح الإمام مسلم: " باب الأمر بالإيمان بالله تعالي ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه والسؤال عنه وحفظه وتبليغه من لم يبلغه " [2] .

لأن الناس لا بد لهم من الدعوة إلي الله تعالي؛ وذلك لآخراجهم من الظلمات إلي النور.

من ظلمات الشرك والكفر إلي نور الإسلام.

ومن ظلمات البدع إلي نور السنة.

ومن ظلمات المعاصي إلي نور الطاعة والهدأية.

ومن ظلمات الجهل إلي نور العلم، كل بحسبه.

فحاجة الناس وضرورتهم إلي الدعوة إلي الله تعالي والهداية أشد من حاجتهم إلي الطعام والشراب، بل لا يستقيم أمر العالم إلّا بالدعوة إلي الله تعالي، ولولا ذلك لأصبحت الأرض رجراجة متكفئة، ولعاش الناس فوضى كالبهائم؛ فجنس الإنسان لا يستغني عن الأمر والنهي؛ لأنه لا يمكن أن يستقل بمعرفة الحق والخير على الكمال والتمام، وإن كان يدرك الشر والخير بالجملة، وذلك بما وهبه الله من عقل وحواس، إلّا أنه لا يعرف حقائق الأشياء على التفصيل إلّا بالوحي من الله تعالي، ولذلك احتاج الخلق إلي إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وقيام الحجة.

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحث أصحابه على الدعوة إلي الله تعالي، ويُلهب حماستهم لذلك، ويبيّن ما لهم من الأجور ورفعة الدرجات عند الله أن هم قاموا بذلك.

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٤٦) حديث رقم (١٧) .

(٢) صحيح مسلم (١ / ٤٦)

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: « قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، فَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتَهُمْ أيهُمْ يُعْطَى، فَغَدَوْا كُلُّهُمْ يَرْجُوهُ، فَقَالَ: «أين عَلِيٌّ؟»، فَقِيلَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ كأن لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ فَقَالَ: أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: « **أنفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إلي الإسلام**، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأن يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أن يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ» »[١] .

وقد صدقوا رضي الله تعالي عنهم رَبَّهُمْ تعالي بأقوالهم وأفعالهم، وقاموا بالدعوة إليه تعالي أتم قيام، وادوها أحسن أداء، وقد تسلحوا رضي الله عنهم في دعوتهم بتمام الإخلاص، وصدق التوكل، والفقه عن الله تعالي، وعن رسوله صلى الله عليه وسلم، واتخذوا الصبر مطية، والأجر الموعود أعظم ثمن وهدية، فاعتلت شجرة دعوتهم تزاحم النجوم في عليائها، وآتت أكلها طيبة الثمار، وما زال المسلمون يتفيؤون ظلال دعوتهم المباركة، وستبقى إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها، فرضي الله عنهم وأرضأهم.

والمتتبع لنصوص القرآن والسنة وما أثر عن السلف الصالح يجد أن فضائل الدعوة إلي الله تعالي وخصائصها ومزأياها كثيرة جدا[٢].

---

(١) رواه البخاري (٧ / ٤٧٦) ، ومسلم (١٥ / ٧٧) ، في قصة بعث علي بن ابي طالب الى خيبر.

(٢) البصيرة في الدعوة الى الله ، عزيز بن فرحان العنزي ، تقديم: صالح بن عبد العزيز ال الشيخ ، الناشر: دار الامام مالك – ابو ظبي ، الطبعة: الاولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م (ص: ٩) .

المبحث الأوْل: أصول الدعوة

١. تعريف الدعوة إلي الله تعالي:

الدعوة لغة: من دعا بالشيء، دعوا، ودعوة، ودعاءً، ودعوى: **طلب إحضـــاره.**

ودعوت الله: ادعوه، دعاءً، ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير.

ودعوت زيدا: ناديته، وطلبت إقباله. ودعوت الولد زيدا، أوْ بزيدٍ، إذا سميته بهـــذا الاسم. وادعيت الشيء : تمنيته. وتداعى الناس على فلان: تالبوا عليه. وتداعى البنيـــان: تصدع من جوانبه، وإذن بالسقوط. وتداعوا بالألقاب: دعا بعضهم بعضا بذلك[1] .

فهي مأخوذة من الدعاء، وهو النداء لجمع الناس على أمر ما، وحثهم على العمل له.

الدعوة إلي قضية يراد إثباتها أوْ الدفاع عنها حقا كانت أم باطلا:

فمن الدعوة إلي الباطل:{قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إليه}[يوسف:٣٣]

فدعوة الباطل هنا هي دعوة النساء ليوسف ــ عليه السلام ــ ليقع في الفاحشة ، فبعدما رأت أمراة العزيز أنها انتصرت على نساء طبقتها، وأنهن لقين من طلعة يوسف الدهش والإعجاب والذهول.

فقالت قولة المرأة المنتصرة، التي لا تستحي أمام النساء من بنات جنسها وطبقتها والتي تفخر عليهن بأن هذا في متناوْل يدها وإن كان قد استعصى قياده مرة فهي تملك هذا القياد مرة آخرى: «قالَتْ: فَذلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ» [يوسف : ٣٢] .

فانظرن ماذا لقيتن منه من البهر والدهش والإعجاب! «وَلَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ» [يوسف : ٣٢].

---

(١). انظر : لسان العرب ، لابن منظور ، مادة (دعا) ، ٣/١٣٨٥–١٣٨٨. والمعجم الوسيط ، مجموعة من العلماء ، مادة (دعا)، ١ /٢٨٦ ، والمصباح المنير، للفيومي ، مادة (دعا) ، ١/١٩٦ .

ولقد بهرني مثلكن فراوْدته عن نفسه فطلب الإعتصام- تريد أن تقول: أنه عانى في الإعتصام والتحرز من دعوتها وفتنتها! - ثم تظهر سيطرتها عليه أمامهن في تبجح المرأة من ذلك الوسط، لا ترى بأسا من الجهر بتراوْتها الأنثوية جاهرة مكشوفة في معرض النساء:

«وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ ما آمرهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونا مِنَ الصَّاغِرِينَ» [يوسف : ٣٢] ! فهو الإصرار والتبجح والتهديد والإغراء الجديد في ظل التهديد.

ويسمع يوسف هذا القول في مجتمع النساء المبهورات، المبديات لمفاتنهن في مثل هذه المناسبات. ونفهم من السياق أنهن كن نساء مفتونات فاتنات في مواجهته وفي التعليق على هذا القول من ربة الدار فإذا هو يناجي ربه:

«قالَ: رَبِّ السِّجْنُ احَبُّ الَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إليه» [يوسف : ٣٣].

و لم يقل: ما تدعوني إليه. فهن جميعا كن مشتركات في الدعوة. سواء بالقول أم بالحركات واللفتات..

وإذا هو يستنجد ربه أن يصرف عنه محاوْلاتهن لأيقاعه في حبائلهن، خيفة أن يضعف في لحظة أمام الإغراء الدائم، فيقع فيما يخشاه على نفسه، ويدعو الله أن ينقذه منهن [١].

ومن الدعوة إلي الحق: قوله تعالي: { لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلي الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ }[الرعد : ١٤]، وقوله ﷺ في كتابه إلي هرقل: (أدعوك بدعاية الإسلام) أي دعوته، وقال مؤمن آل فرعون: {وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلي النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلي النَّارِ}[غافر : ٤١].

---

(١) في ظلال القران (٤/ ١٩٨٥) .

ومن معاني الدعوة:

١- المحاوْلة القولية أوْ الفعلية والعلمية لإمالة الناس إلي مذهب أوْ ملة.

٢- الابتهال والسؤال: دعوت الله ادعوه: أي ابتهل إليه بالسؤال، وارغب فيما عنده من الخير، وقال تعالي: {وَاللَّهُ يَدْعُو إلي دَارِ السَّلامِ} [يونس : ٢٥] ، فدعوة الله عز وجل عباده إلي دار السلام ـــ الجنة ـــ هي دعوته عباده إلي أسباب دخولها من الإلتـزام بدينه، فمن استجاب صار من حزب الله {ألّا أن حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[المجادلة : ٢٢] ، أما المعرضون فهم اتباع الشيطان ، قال تعالي: {إنمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِـنْ أصْـحَابِ السَّعِيرِ}[فاطر : ٦] .

وأما الدعوة إلي الله تعالي في الاصطلاح فلها عدة تعريفات، منها:

عُرِّفت بعِدّة تَعريفات ، منها ما يلي[1]:

التعريف الأوْل: حَثّ الناس على الخَير والهُدى، والأمر بالمعروف والنّهـي عـن المنكر، ليَفوزوا بسعادة العاجل والآجل.

التعريف الثاني: هي: قيام العلماء المُستنيرين في الدِّين بتعليم الجمهور من العامّة ما يُبصِّرهم بامور دِينهم ودُنيأهم، على قَدر الطاقة.

التعريف الثالث: إنقاذ الناس من شرٍّ واقع، وتحذيرهم من أمر يُخشى عليهم مـن الوقوع في بأسه.

وتطلق الدعوة، ويراد بها: عملية نشر الإسلام، وفق هدي رسول الله ﷺ ، الـذي قال الله تعالي عنه: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أدْعُو إلي اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أنا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَأن اللَّهِ وَمَا أنا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

---

[1] اصول الدعوة وطرقها ١ - جامعة المدينة (ص: ١٠) .

٢. أدلة وجوب الدعوة إلي الله تعالي:

وردت عدة أدلة على وجوب الدعوة إلي الله تعالي في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وذلك على النحو الآتي:

أوْلاً / الأدلة من الكتاب:

ونذكر منها:

١- قال تعالي: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أمَّة يَدْعُونَ إلي الْخَيْرِ وَيَأمرونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤].

٢ - قال تعالي: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأمرونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ أن اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٧١] .

٣ - قال تعالي : ﴿ ادْعُ إلي سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ احْسَنُ﴾ [النحل : ١٢٥] .

٤ - قال تعالي: ﴿ وَادْعُ إلي رَبِّكَ أنكَ لَعَلَى هُدىً مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج:٦٧] .

٥ - قال تعالي: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإثْمِ وَالْعُدْوَان وَاتَّقُوا اللَّهَ أن اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[المائدة : ٢] .

ويلاحظ في الآية الأوْلى قوله: ﴿ ولتكن ﴾ أمر ظاهره الوجوب.

وفي الآية الثانية اطلق مسمى الإيمان على من قام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن لم يقم به لا يستحق أن يكون من المؤمنين

في حين بينت الآية الرابعة أن الناجين ما تحققت لهم النجاة إلّا بالنهي عن السوء ، وهو ما يؤكد أمر الوجوب.

يضاف إليه الأمر الوارد في الآية الخامسة ، والذي يفيد وجوب الحث على التعاوْن، وما قيام الداعية بواجبه تجاه المدعو ماديا ومعنويا إلّا صورة واضحة للتعاوْن الذي حثت عليه الآية .

ثانياً : الأدلة من السنة

استدل العلماء على وجوب الدعوة إلي الله بأحاديث كثيرة نذكر منها:

١ – عن حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ قال : « والذي نفسي بيده **لتأمرنَّ بالمعروف ولَتَنهَوُنَّ عن المنكر** أوْ لَيُوشِكَنَّ الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لَتَدعُنَّه فلا يستجيب لكم »[١] .

٢ – عَنِ ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ ، ذُكِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فَإِن دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ – قَالَ مُحَمَّدٌ وَأَحْسِبُهُ قَالَ – وَأَعْرَاضَكُمْ، عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، **أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الغَائِبَ**»[٢] .

٣– عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جاهدوا الكفار بأيديكم وألسنتكم وأموالكم » رواه النسائي وصححه الألباني.

ويلاحظ أن صيغة الأمر الواردة في الأحاديث السابقة تدل على الوجوب .

(١) حديث حسن : صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ١١٨٩) حديث رقم (٧٠٧٠) ، مشكاة المصابيح (٣/ ١٤٢٢) (٥١٤٠) .

(٢) صحيح البخاري (١/ ٣٣) حديث رقم (١٠٥) ، حديث رقم (٣٤٦١) .

٣ - أهداف الدعوة إلي الله :

١. بيان الحق والبلاغ المبين:

قال تعالي : { يَا أيها الرَّسُولُ **بَلِّغْ** مَا أنزلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إن اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } [المائدة : ٦٧] .

وقال تعالي : { بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ **لِتُبَيِّنَ** لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إليهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [النحل : ٤٤] .

وعنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»(١)

٢. الدعوة إلي الإستجابة للدعوة وامتثالها قولا وعملا:

{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أمَّة رَسُولًا أن اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كان عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}[النحل : ٣٦] .

٣. التبشير والإنذار:

هو مفتاح النفس الإنسانية فهي مجبولة على طلب الخير لذاتها، ودفع الشر عنها،{وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ ءامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الأنعام : ٤٨] ، قال ﷺ: (إنمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: يَا قَوْمِ، إني رَأيتُ الجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإني أنا النَّذِيرُ العُرْيَان، فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا، فَانطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ فَأهلكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الحَقِّ) (٢).

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٧٠)

(٢) صحيح البخاري (٩/ ٩٣) حديث رقم (٧٢٨٣) ، صحيح مسلم (٤/ ١٧٨٨) حديث رقم (٢٢٨٣) .

البشارة: في الدنيا: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أنثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كانوا يَعْمَلُونَ } [النحل : ٩٧] ، {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاي فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} [طه : ١٢٣] .

في الآخرة: {تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الّأنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [النساء : ١٣].

النذارة: في الدنيا: { وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِن لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَّة أَعْمَى} [طه : ١٢٤] ، {فَإِن أَعْرَضُوا فَقُلْ أنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} [فصلت : ١٣].

في الآخرة: {وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} [النساء : ١٤] .

٤. إصلاح النفوس وتزكيتها:

قال تعالي : {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كانوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [سورة الجمعة : ٢] .

٥. إقأمَّة الحجة والإعذار إلي الله بأداء الأمانة:

{رُّسُلا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكان اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}[النساء : ١٦٥].

واتباع الرسل يخلفوهم في هذه المهمة: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إلي اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أنا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَأن اللَّهِ وَمَا أنا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [يوسف : ١٠٨] .

٤ - فضل الدعوة إلي الله تعالي:

أوْلاً: أنها احسن القول لمن اشتغل بها، مع العمل الصالح.

قال الله تعالي: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إلي اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إنني مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [فصلت: ٣٣] .

قال ابن كثير: " وهذه عامَّة في كل من دعا إلي خير، وهو في نفسه مهتد، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أوْلى بذلك. . . " [١] .

وثانياً: كونها من اسباب حصول الخيرية لهذه الأمَّة :

قال الله تعالي: {كُنْتُمْ خَيْرَ أمَّة آخرجَتْ لِلنَّاسِ تَأمرونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران: ١١٠].

قال ابن كثير[٢]: " فمن اتصف من هذه الأمَّة بهذه الصفات دخل معهم في هذا الثناء عليهم والمدح لهم كما قال قتادة: بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها رأي من الناس سرعة فقرأ هذه الآية: {كُنْتُمْ خَيْرَ أمَّة آخرجَتْ لِلنَّاسِ} [آل عمران: ١١٠] ثم قال: من سره أن يكون من تلك الأمَّة فليؤد شرط الله فيها، رواه ابن جرير.

ومن لم يتصف بذلك اشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله: {كانوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كانوا يَفْعَلُونَ} [المائدة: ٧٩] اهـــ .

وثالثا: الفلاح متحقق بإذن الله تعالي لمن قام باعبائها، وتحمل مشاقها :

قال الله تعالي: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أمَّة يَدْعُونَ إلي الْخَيْرِ وَيَأمرونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: ١٠٤].

قال ابن كثير رحمه الله: " والمقصود من هذه الآية: أن تكون فرقة من الأمَّة متصدية لهذا الشأن، وأن كان واجبًا على كل فرد من الأمَّة بحسبه [٣]" .

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ١٧٩)

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٢/ ١٠٣)

(٣) تفسير ابن كثير ت سلامة (٢/ ٩١)

٥ - **تعريف الداعية إلي اللّه تعالي**:

الداعية في **اللغة:** هو من يدعو إلي دين أوْ فكرة.

والدعاة: قوم يدعون إلي بيعة هدى أوْ ضلالة، وأحدهم داعٍ، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلي دين، أوْ بدعة، وادخلت الهاء فيه للمبالغة. وقيل: الداعية : صريخ الخيل في الحروب، لدعائه من يستصرخه. يقال: أجيبوا داعية الخيل .

إذن: الدعاة لفظ عام يشمل:

ا – دعاة الحق. **ب** – دعاة الباطل.

كما جاء ذلك في قول الله ﷻ ، على لسأن مؤمن ال فرعون : ﴿ **ويا قوم مالي ادعوكم إلي النجاة وتدعونني إلي النار** ﴾ [(١)] . ويقول الله ﷻ ، حكأية عن المشركين : ﴿**أوْلئك يدعون إلي النار والله يدعو إلي الجنة والمغفرة بإذنه** ﴾ [(٢)] .

ومنه حديث رسول الله ﷺ عندما قال للصحابي الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنهما،«**ويح عمّار تقتله الفئة الباغية. عمار يدعوهم إلي الله، ويدعونه إلي النار**»[(٣)].

والداعية في **الاصطلاح** هو: (المبلغ للإسلام، والمعلم له، والساعي إلي تطبيقه) [(٤)].

---

(١)سورة غافر ، الاية : ٤١ .

(٢)سورة البقرة، الاية : ٢٢١ .

(٣)اخرجه البخاري، في كتاب الجهاد والسير، باب مسح الغبار عن الراس في سبيل الله ، برقم٢٨١٢ ، ٢٧٢/٣ -٢٧٣ .

(٤)المدخل الى علم الدعوة ، د.محمد ابو الفتح البيانوني، ص٤٠ .

٦ - صفات الداعية إلي الله تعالي وأخلاقه:

لابد من الإشارة إلي أن كل مسلم هو داعية إلي الله ﷻ، حيث نجد أن الداعية الأوْل المبلغ للإسلام كاملا، هو رسول الله ﷺ، ثم جاء من بعده صحابته الكرام – رضوان الله عليهم أجمعين – الذين بلغوا هذا الدين عنه، كلٌّ على حسب قُدرته واستطاعته وعلمه، عملا بقول رسول الله ﷺ : « **بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيةً** » [(١)] .

وهكذا سار سلف هذه الأمَّة –رحمهم الله تعالي– كلٌّ على حسب قدرته وطاقته.

كما أن الدعوة لا تقتصر على الدعاة من الرجال ، بل وتشمل النساء كذلك ، حيث نجد أن نساء سلف هذه الأمَّة ﵃ أجمعين ، قد ضربوا في ذلك الصور والأمثلة التي تستحق الإبراز والثناء.

ومن أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية إلي الله تعالي :

١. الإخلاص ، لأن العمل لا يصح ولا يقبل إلّا به .
٢. قوة الصلة بالله ﷻ ، وذلك من خلال المحافظة الشديدة على الفرائض ، والإكثار من النوافل ، واللجوء إلي الله ﷻ ، على كل حال.
٣. العلم ، الذي به تصح النية، والمنهج، وأهم العلوم التي يحتاجها الداعية إلي الله ﷻ، علم الكتاب والسنة، وما يتفرع ويتصل بهما، وتحصيل العلم لا يتم إلّا بالجدِّ والحرص عليه ، والسؤال عنه كما كان حال سلفنا الصالح الذين ضربوا أروع الأمثلة وأعظمها في ذلك الأمر.كما أن العلم يحتاج إلي سرعة العمل به ، وإلّاستجابة لأوْامره، وإلّانتهاء عن نواهيه، وإلّا أصبح الإنسان به ﴿ **كمثل الحمار يحمل أسفارا** ﴾ [(٢)] .
٤. الورع والتقوى، وذلك لأن الداعية محل نظر المدعوين وقدوتهم.
٥. الإستشارة، لأن الآراء عندما تجتمع تنضج وتخرج بصورة جيدة وقليلة الأخطاء.

---

(١) – اخرجه البخاري ، في كتاب احاديث الانبياء ، باب ما ذكر عن بني اسرائيل ، برقم٣٤٦١ ، ١٧٥/٤.

(٢) – سورة الجمعة ، الاية : ٥ .

٦. الحرص والمبادرة إلي الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلي الله ﷻ.

٧. المداوْمة على العمل والمحافظة عليه.

٨. الفطنة والفراسة.

٩. التفاؤل ، الثقة بنصر الله ﷻ ، وحسن الظن به.

١٠. حسن السمت.

١١. حسن استغلال الفرص والمواقف.

١٢. فصاحة اللسان.

١٣. الحرص على طلب العلم، والتحلي بأدابه، وطلب العلم له أداب ينبغي على الداعية المحافظة عليها والتمسك بها ومراعاتها في مرحلة الطلب، وأهمها حسن الخلق، لأنه من أعظم ما يجذب المدعوين إلي الداعية ، وإلي العمل بما يدعو إليه ، وحسن الخلق يشمل عدة فروع ، منها:

ا – الصبر.

ب – الجود .

ج – التواضع.

د – الحلم وإلّاناة .

هـ – العفو.

و – الرفق واللين .

ز – الوفاء.

ح – الحياء.

ط – احترام الكبير.

ي – الرحمة.

ك– الحرص على النظافة .

٧ - المدعو:

تعريف المدعو:

أن كلمة (المدعو)، مشتقة من دعاه يدعوه ، فهو مدعو. إذن فهو اسم مفعول، مشتق من اصل الكلمة (دعا)([1]).

يقول د.حمود الرحيلي: (والمقصود بالمدعو في اصطلاح الدعوة الإسلامية: هو الإنسان المخاطب بدعوة الإسلام)([2]).

وأري أن المدعو هو : (من وجهت إليه رسالة دعوية) ،وعلى ضوء ذلك التعريف نستطيع نذكر مجموعة من القواعد العامّة التي تتعلق بالمدعو على النحو الآتي:

أوْلاً/ المدعوون إلي الله ﷻ ، هم الناس جميعا ، اذ يقول الله ﷻ : { وما أرسلناك إلّا كافة للناس بشيرا ونذيرا } ([3]) . إذن فينبغي للداعية إلي الله ﷻ ، أن يتوجه بدعوته للناس جميعا ويعرضها عليهم ويبلغهم إياها من غير استثناء لأحد منهم .

ثانياً/ يدخل ضمن المدعوين : الجن ، إذ نجد أن رسول الله ﷺ ، توجه لهم بالدعوة، وخاطبهم بها ، وذلك لأنهم مطالبون بالإيمان بالله ﷻ ، وبرسوله ﷺ، والعمل بشريعته ، يقول الله ﷻ :{ وما خلقت الجن والإنس إلّا ليعبدون } ([4]) ، ويقول ﷻ : { يا معشر الجن والإنس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم أياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا }([5])، ويقول ﷻ : { وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآن فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إلي قَوْمِهِم مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إنا سَمِعْنَا كِتَابًا أنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إلي الْحَقِّ وَإلي طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا اجيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ اِليمٍ } [الاحقاف : ٢٩ : ٣١] .

---

(١) – انظر : المدخل الى علم الدعوة ، للدكتور / محمد ابو الفتح البيانوني ، ص٤١ .

(٢) – اصناف المدعوين وكيفية دعوتهم ، ص٥ ، الطبعة الاولى ١٤١٤هـ ، ط دار العاصمة ، الرياض .

(٣) – سورة سبا ، الاية : ٢٨ .

(٤) – سورة الذاريات ، الاية : ٥٦ .

(٥) – سورة الانعام ، الاية : ١٣٠ .

٨ – أصناف المدعوين :

المدعوون أصناف كثيرة ، وذلك يظهر من خلال التقسيم الآتي :

١ – بحسب العقيدة والدين ، وهم :

أ – المسلمون.

ب – أهل الكتاب من اليهود والنصاري.

ج – الكفار والمشركون .

٢ – بحسب المكان ، وهم :

أ– أهل الحضر . ب – أهل البادية ، وهم الأعراب.

٣ – بحسب السن والعمر ، وهم :

أ– الأطفال. ب – الكبار.

٤ – بحسب الجنس ، وهم :

أ– الرجال. ب – النساء.

٥ – بحسب القرابة ، وهم :

أ– القريب (الأوْلاًد ، والزوجات ، والآباء ، والإخوة ، والأخـــوات، وسائر القرابات) .

ب – غير القريب ، وهم سائر المدعوين غير ما ذكر في الفقرة السابقة.

٦ – بحسب اللغة ، وهم :

أ– العربي. ب – الأعجمي.

٧ – بحسب المكانة ، وهم :

أ – الملأ. ب – عامَّة الناس. ج – الخدم والمماليك.

٨ – بحسب الرغبة في العلم والإيمان ، وهم :

أ – الحريص. ب – الحيي. ج – المعرض.

٩ – بحسب الإيمان ، وهم :

أ – قوي الإيمان. ب – ضعيف الإيمان.

١٠ – بحسب العلم ، وهم :

أ – طالب العلم. ب – العوام وجهلة الناس.

ومما لا شك فيه أن كل صنف مما سبق له سمات خاصة قد تختلف عن الآخرين، مما يترتب عليه أن يختار الداعية إلي الله ﷻ ، مع كل صنف ما يناسبه من الوسائل والأساليب الدعوية الــتي تؤثر فيه ، كما أن كل صنف له حقوق ومسؤوليات تجاه الداعية قد تختلف عن الآخر .

سمات بعض المدعوين:

١. سرعة استجابة المؤمن للموعظة والتذكير.

٢. من سمات المدعوين بشكل عام: طلب المزيد من الخير.

٣. من سمات النساء: شدة العاطفة عندهن، وسرعة التاثر.

٤. من سمات الملأ الغالبة: التكبر ، وشدة التعلق بالدنيا.

٥. من سمات اليهود : شدة الخصام واللجج .

٦. من سمات الأعراب: الجفاء، وعدم الإهتمام بالمظهر، ورفــع الصــوت، والجرأة والعجلة.

٧. خوف الكفار وشدة عدائهم للدعوة وصاحبها.

٩ - حقوق المدعوين وواجباتهم:

للمدعوين العديد من الحقوق التي ينبغي على الداعية مراعاتها ، من أهمها:

أ – أمور المدعوين محمولة على الظاهر ، دون الباطن .

ب – أهمية اشعار المدعو بأن عليه مسؤولية كبيرة في البحث عن الحق وطلبه، والعمل به متى ما استبان له، فلذا ينبغي له السؤال والرجوع إلي العلماء فيما يشــكل عليه، يقول الله ﷻ:{**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**}([1]).

ج – اختلاف درجات المدعوين في الإستجابة للدعوة ، أوْ الإعــراض عنــها، وأن الفاضل هو من يسبق ويبادر للإيمان والإسلام .

د – تنوع وإختلاف أحوال المدعوين ، مما يؤكد أهمية مراعاتها أثناء عرض الــدعوة عليهم.

هـــ — خدمة الدين والعمل بأركانه وواجباته وسننه ، واجتناب محرماته ومكروهاته.

---

(١) – انظر : سورة النحل، الاية : ٤٣ . وسورة الانبياء، الاية : ٧ .

١٠ - الأسلوب :

تعريف الأسلوب:

في **اللغة**: الطريق ، والمذهب . يقال سلكت أسلوب فلأن في كذا: طريقته ومذهبه، وطريقة الكاتب في كتابته. والأسلوب هو الفن . يقال : أخذنا في أساليب من القــول: فنون متنوعة. ويقال: هو على أسلوب من أساليب القوم أي على طريق مــن طرقــهم. وجمــع أسلوب: أساليب [(١)] .

لغويا: ذكر للأسلوب أكثر من معنى هي: "الأسلوب: الطريق.

ويقال: سلكتُ أسلوب فلان في كذا: طريقته ومذهبه.

والأسلوب: طريقة الكاتب في كتابته.

والأسلوب: الفن، يقال: أخذنا في أساليب من القول: فنون متنوعة.

ويطلق الأسلوب عند الفلاسفة: على كيفية تعبير المرء عن أفكاره.

وفي **الاصطلاح** : (الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته) [(٢)] .

وقيل: (هي الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تاليف كلامه واختيار مفرداته) [(٣)] .

وأقول بأن الأسلوب هو: (الطريقة التي يسلكها الداعية في نشر الإسلام) .

---

(١) انــظر: لسان العــرب، لابن منظور، مادة (سلب)، ٢٠٥٨/٤. والمصباح المنير، للفيومي، مادة (سلب)، ٢٢٨٤/١. والمعجم الوسيط ، مادة (سلب) ، ٤٤١/١ .

(٢) المدخل الى علم الدعوة ، د.محمد ابو الفتح البيانوني ، ص٢٤٢ .

(٣) خصائص القران الكريم، د.فهد بن عبدالرحمن الرومي، ص١٨، الطبعة الثانية١٤٠٩هــ، ط مكتبة الحرمين، الرياض.

١١ - نماذج من أساليب الدعوة :

تعود الأساليب في مجملها إلي ثلاث مجموعات ، وهي :

١. **مجموعة الأساليب التي تحرك الشعور والوجدان،** و التي بمجموعها تمثل المنهج العاطفي، كأسلوب الوعظ والتذكير ، وأسلوب الترغيب والترهيب، وأسلوب تحريك العاطفة الإيمانية وتهييجها، وأسلوب الدعاء للمدعو.

٢. **مجموعة الأساليب التي تدعو إلي التفكر والتدبر والإعتبار،** والتي بمجموعها تمثل المنهج العقلي، كأسلوب المقارنة بين الحسن والقبيح ، وأسلوب التشبيه، وأسلوب المناظرة، وأسلوب التوضيح والتعليل العقلي، وأسلوب الرد على الشبهات.

٣. **مجموعة الأساليب التي تعتمد على الحس والتجارب الإنسانية** ، والتي بمجموعها تمثل المنهج الحسي ، كأسلوب القدوة الحسنة ، وأسلوب ذكر الداعية تجاربه وما يظهر عليه، وأسلوب تخفيظ المدعو ، وأسلوب إلّاحسأن للمدعوين ومساعدتهم.

٤. **الأساليب العامّة** ، والتي تشمل الأساليب السابقة ، أوْ بعضها ، كأسلوب الخطابة، وأسلوب القصص ، وأسلوب التعليم ، وأسلوب السؤال والجواب.

و لكثرة الأساليب وتنوعها ؛ ينبغي للداعية إلي الله ﷻ :

- **اختيار الأسلوب المناسب للمدعوين،** وذلك بالنظر إلي **حالهم وزمأنهم ومكانهم،** فمثلا نجد أن رسول الله ﷺ ، يستخدم أسلوب الرفق واللين في بعض المواقف، وفي مواقف آخرى يستعمل الشدة والقسوة ، وذلك لحاجة المدعو في هذه الحال لمثل هذا الأسلوب.
- **التنويع بين هذه الأساليب وطرحها** ، وذلك لأن المدعو فيه ثلاث ركائز، وهي: العاطفة والعقل والإحساس ، فالداعية الموفق الذي يستخدم الأساليب التي تشبع الركائز الثلاث بشكل متوازن ومتناسق .

١٢ - تعريف وسائل الدعوة إلي الله تعالي :

الوسائل في **اللغة** هي : ما يُتوصل ويُتقرب به إلي الشيء ، توسل إلي ربــه بوســيلة أي تقرب إليه بعمل، وهي الواسلة، والواصلة، و القربى، وجمعها وسائل و وُسُل[(١)] ، يقول الله ﷻ: {**أوْلئــك الــذيــن يدعــون يبتغون إلي ربهم الوسيلة أيــهم أقرب**}.

وفي **الاصطلاح**: ما يتوصل به الداعية إلي تطبيق مناهج الدعوة مـــن امـــور معنويـــة أوْ مادية)[(٢)].

وقيل : (هي ما يستعين به الداعية على تبليغ الدعوة من أشياء وأمور) [(٣)] .

وأقول هي: (**الأدوات المادية والمعنوية، التي يستخدمها الداعية في نشر الإسلام**).

---

(١) – انظر: لسان العرب ، لابن منظور ، مادة (وسلت) – ٤٨٣٨/٨ . والمصباح المنير ، للفيومي ، مادة (وسلت) ، ٦٦٠/٢ . والمعجم الوسيط ، لمجموعة من علماء اللغة ، مادة (وسل) ، ١٠٣٢/٢ .

(٢) – المدخل الى علم الدعوة ، للدكتور/ محمد ابو الفتح البيانوني ، ص٢٨٢ .

(٣) – الحكمة في الدعوة الى الله تعالى، سعيد بن علي القحطاني، ص١٢٦، الطبعة الثانية١٤١٣هـــ، ط مطبعة سفير، الرياض .

١٣ - أنواع وسائل الدعوة إلي الله تعالي :

نستطيع أن نقسم الوسائل إلي نوعين، هما:

١ - الوسائل المادية "[١]"، وهي جميع الأدوات المحسوسة ، كالقول، والعمل.

٢ - الوسائل المعنوية "[٢]" ، كالصلاة ، والدعاء ، والتخطيط ، والتنظيم .

وأيضا للوسائل تقسيم آخر ، وهو :

١ - الوسائل الأصلية : كالقول ، والعمل .

٢ - الوسائل المساعدة : كالمنبر ، ومكبر الصوت. واللباس ، واستغلال المواقف والفرص ، والنظر للمدعو أثناء الحديث معه ، وضرب الموعد وتحديده للموعظة والتعليم ، ووسائل الإعلام بأنواعها ...

ومما ينبغي التنبيه عليه أن استخدام الوسائل، والسعي في تحصيلها واتقانها، لا يتعارض مع التوكل على الله ﷻ .

وينبغي للداعية إلي الله ﷻ ، عند اختيار الوسيلة مراعاة القواعد الآتية :

١ – أن الوسائل لها حكم الغايات ، فلذا لا بد من مشروعية الوسيلة.

٢ – درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

٣ – دفع أعظم المفسدتين باحتمال أدنأهما.

٤ – الإتيان بأعظم المصلحتين إذا لم يمكنا معا.

---

(١) – ويقصد بها ، الاشياء المحسوسة التي يستخدمها الانسان في العملية الدعوية بصورة مباشرة ، فمثلا وسيلة القول : هي عبارة عن اصوات وحروف محسوسة تصاغ باساليب مختلفة ، تؤثر في المدعوين بشكل مباشر.

(٢) – ويقصد بها : الادوات التي يستخدمها الداعية الى الله ﷻ ، ويكون اثرها غير مباشر على المدعوين ، فمثلا عندما يقوم الداعية بالصلاة ، قبل البدء بالدعوة لينصره الله ﷻ، ويعينه على المدعوين والتاثير فيهم ، فهي من هذا الجانب شيء معنوي لعدم الاحساس المباشر باثرها .

١٤ - موضوعات الدعوة إلي الله تعالي :

تعريف موضوع الدعوة:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالي-: (الدعوة إلي الله، هي الدعوة إلي الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمـــروا) [(١)]، ويقول - رحمه الله تعالي - : (الدعوة إلي الله تتضمن الأمر بكل ما أمر الله به ، والنهي عن كل ما نهى الله عنه ، وهذا هو الأمر بكل المعروف ، والنهي عن كل منكر) [(٢)] ، ويقول - رحمه الله تعالي - في تعريفه للدين : (هو ما بعث الله به رسله ، وهو ما يجب على المرء التصديق به والعمل به) [(٣)] .

هذا ويمكن القول أن موضوعات الدعوة تدور حول التقسيم الآتي:

١ - العقيدة .

٢- الشريعة .

٣ – الأخلاق .

---

(١) – مجموع الفتاوى ، ١٥/١٥٧ .

(٢) – المرجع السابق ، ١٥/١٦١ .

(٣) – الحسبة في الاسلام ، ص٤٥ ، بدون تاريخ الطبعة ورقمها ، ط مكتبة الرياض .

١٥ - **قضايا دعوية** :

هناك مجموعة من القضايا التي ينبغي التنبيه عليها وهي :

أوْلاً / ضرورة الإعتماد على الكتاب والسنة في اختيار الموضوعات ودعوة الآخرين ، والبعد عن الهوى والميول الشخصية .

ثانياً / التدرج : في الدعوة مع الناس ، فمثلا الخمر حرمت على مراحل .... وهكذا يؤخذ الناس بالتدرج .

ومن التدرج ترتيب موضوعات الدعوة حسب أهميتها الشرعية ، فلا يُقدم موضوع على آخر ، هو أهم منه. هذا وأن الأصل في أوْليات الدعوة الذي يجب على الدعاة الإلتزام به هو ما ياتي :

١ – التوحيد وقضايا العقيدة .

٢ – أركان الإسلام ، وخاصة منها الصلاة ، وما يتصل بها من أحكام كالغسل والوضوء.

٣ – ثم تاتي بقية الموضوعات على حسب أهميتها وتقديم الشارع لها .

ثالثا/ البعد عن التعصب :

فالتعصب للأشياء – معها، أوْ ضدها – سلبا ، أوْ إيجابا– إلي درجة تجعل الناس ، يصابون بنوع من الخوف الشديد من هجوم المتعصبين ، ضدهم ، أوْ معهم ، إذا كان هناك خطا حصل ، أوْ واقع سيء قائم ينبغي إزالته ، ولا شك أن هذا يؤدي إلي عدم الإقدام والمبادرة ، والاعتراف بالخطأ ونقده ، والمطالبة بالعودة للحق واتباعه .

رابعا/ أنزال الناس منازلهم ، فهذا من القواعد الكبيرة التي كان النبي ﷺ ، يراعيها ويتعامل بها مع المدعوين ، كأبي سفيان ، وزيد الخيل ، وغيرهم كثير ... .

ثانياً / مقرر الحسبة

١. تعريف الحسبة لغة واصطلاحا:

الاحتساب **لغة** له عدة معأن، منها: طلب الأجر، الاختبار، والإنكار، والظن، والإعتداد، وإلّاكتفاء ((١)) .

أما في **الاصطلاح** فقد عرفه العلماء بعدة تعريفات((٢)). من أشـــهرها تعريـــف الإمـــام المأوْردي والقاضي ابي يعلى الحنبلي، حيث يقولأن: (الحسبة: هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله ، واصلاح بين الناس، قال الله تعالي: {لَا خَيْرَ فِـــي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهم إلّا مَنْ أمر بِصَدَقَةٍ أوْ مَعْرُوفٍ أوْ إصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ} [النساء: ١١٤]((٣)) .

٢. أركان الحسبة :

أركان الحسبة أربعة : كما ذكر ذلك الغزالي – رحمه الله — فقـــال : أن أركـــان الحسبة أربعة: المحتسب، والمحتسَب عليه، والمحتسب فيه، ونفس الاحتساب.

١. المحتسِب : اسم فاعل من احتسب، ويقصد به القائم بالحسبة.

وقد اشترط الفقهاء في المحتسب: الإسلام والتكليف والعلم والعدالة والقدرة البدنية وإلّإذن من الإمام والذكورة.

٢. المحتَسب عليه: وهو من تقع عليه الحسبة بأمره بالمعروف أوْ نهيه عن المنكر.

٣. المحتَسب فيه: وهو المعروف الذي يؤمر به، أوْ المنكـــر الـــذي يُنـــهى عنـــه.

٤. المحتسب به: والمراد به الوسيلة التي يحتسب بها المحتسب على الناس، وقد يشار إليها في كتب الحسبة بمراتب الاحتساب. وهي أوْلاً التنبيه والتـــذكير، ثم الـــوعظ

---

(١) انظر : الحسبة (تعريفها ، ومشروعيتها ، وحكمها ،) ، الدكتور / فضل الهي ، ص٥-٧ ، الطبعة الاولى ١٤١٠هـــ، ط ادارة ترجمان الاسلام، باكستان .

(٢) للزيادة انظر: المرجع السابق، ص٧-١٦ .

(٣) الاحكام السلطانية، للامام الماوردي، ص٢٤٠ ، الطبعة الاولى ١٣٢٧هـــ ، ط شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة. والاحكام السلطانية، للقاضي ابي يعلى الحنبلي، ص٢٨٤، طبعة ١٤٠٣هـــ ، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

والتخويف من الله، ثم الزجر والتأنيب وإلّاغلاظ بالقول، ثم التغيير باليد، ثم أيقـــاع العقوبة بالنكال والضرب، ثم الإستعداء ورفع الأمر إلي الحاكم.

وأمثّل لهذه الأركان بمثال، فأقول: لو أن رجلا لا يحضر الصلاة في المسجد فوعظه رجلٌ على ما فعل.

فالمحتسِب: هو الواعظ.

والمحتسب عليه: هو الرجل التارك للصلاة في المسجد.

والمحتسب فيه: هو ترك الصلاة في المسجد.

والمحتسب به: هو الوعظ.

٣. حكم الحسبة، ومكانتها، ونوعية فرضها:

شرعت الحسبة طريقا للإرشاد والهداية والتوجيه إلي ما فيه الخير ومنع الضرر . وقد حبب الله إلي عباده الخير وأمرهم بأن يدعوا إليه ، وكره إليهم المنكر والفسوق والعصيان ونهاهم عنه ، كما أمرهم بمنع غيرهم من اقترافه ، وأمرهم بالتعاوْن على البر فقال تعالي : ﴿ **وَتَعَاوْنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوْنُوا عَلَى إلّاثْمِ وَالْعُدْوَأن**﴾ [المائدة : ٢]. وقال جـــل شأنه : ﴿ **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أمَّة يَدْعُونَ إلي الْخَيْرِ وَيَأمرونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٠٤].

الحكم التكليفي:

للعلماء قولان في حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

القول الأوْل:

أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين ، ومن الأدلة على هذا قوله تعالي: ﴿ **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أمَّة يَدْعُونَ إلي الْخَيْرِ وَيَأمرونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٠٤].

ووجه الدلالة أن (مِنْ) هنا بيأنية فتكون دلالتها تشمل الأمَّة جميعـــــــــا كقوله: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: من الآية٣٠] .

ومن الأدلة على هذا القول حديث أبي سعيد من رأي منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" (١)، وهذا الحديث يـــدل على عموم وجوب الاحتساب على كل أحد لأيخرج منه أي مسلم .

القول الثاني:

وهو الذي اختاره كثير من الفقهاء أنه فرض كفأية ، واســـتدلوا بالآيـــة المتقدمـــة وقالوا: أن (مِن) في الآية تبعيضية فتفيد أن هذا الواجب خاص ببعض الأمَّة وليس جميعها.

والذي يظهر أنه يمكن الجمع بين القولين إذا جعلنا القول الأوْل منصرفا إلي الإنكار بصوره كافة ومنها الإنكار بالقلب ؛ وهذا ممكن تحققه من الجميع كلٌ بحســـب قدرتـــه واستطاعته كما ورد في حديث ابي سعيد المتقدم ، والقول الثـــاني ينصـــرف إلي معـــنى الاحتساب باليد واللسان الذي لا يمكن إلّا لبعض الناس ممن تتوفر فيهم شروط معينـــة ، وهو منصرف كذلك إلي ولاية الحسبة كولاية إسلامية شرعية مقصودها تحقيـــق هـــذه الشعيرة وعلى هذا فهي بلا ريب من فروض الكفايات التي يجب على دولة الإسلام القيام بها في الجملة ، ولايتصور تفرغ جميع الناس للقيام بها وإلّا تعطلت ولايات الدولة الآخرى ، وتعطلت مصالح الناس وسبل معاشهم؛ وهذا ممنوع . يقول تعالي:﴿ **وَمَا كان الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إذا رَجَعُوا إليهمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾ (التوبة:١٢٢)

فخلاصة القول: أن الإنكار واجب عيني بحسب إلّاستطاعة لأيعذر أحـــد بتركـــه واضعف الإيمان أن يكون بالقلب .

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٦٩) حديث رقم (٤٩) .

والحكمة من مشروعية الحسبة :

أن الناس لا يزالون – في مختلف العصور – في حاجة إلي من يعلمهم إذا جهلـــوا ، ويذكرهم إذا نسوا ، ويجادلهم إذا ضلوا ، ويكف باسهم إذا أضلوا ، وإذا ســـهل تعلـــيم الجاهل ، وتذكير الناسي ، فأن جدال الضال وكف بأس المضل لا يســـتطيعهما إلّـــا ذو بصيرة وحكمة وبيأن . لذلك شرعت الحسبة.

ومن أفضل ما استدل به على مشروعية الحسبة قوله سبحانه : ﴿ **ولتكن مـــنكم أمَّة يدعون إلي الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأوْلئك هم المفلحـــون** ﴾ (آل عمران/١٠٤) ، وقوله سبحانه : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أوْليـــاء بعـــض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكـــاة ويطيعـــون الله ورسوله أوْلئك سيرحمهم الله أن الله عزيز حكيم** ﴾ (التوبة/٧١).

ولاية الاحتساب نوعان :

– ولاية أصلية مستحدثة من الشرع.

– وولاية مستمدة وهي الولاية التي يستمدها من عهد إليه في ذلك من الخليفة أوْ الأمير، وهو المحتسب.

٥. شبهات حول الحسبة :

هناك مجموعة من الشبهات [(١)] . التي تثار حول الحسبة ، ساعرضها والرد عليها بالتفصيل، وهي على النحو الآتي :

الشبهة الأوْلى : ((وجوب ترك الاحتساب بحجة تعارضه مع الحرية الشخصية))

يقول بعض الناس : " يجب علينا أن نترك الناس وشأنهم ولا نتدخل في شؤونهم الخاصة بأمرهم بالمعروف الذي لا يرغبون في فعله ، ونهيهم عن المنكر الذي يرغبون فيه ، لأن هذا يتعارض مع الحرية الشخصية الثابتة في الإسلام".

ويستدلّ هؤلاء على صحة رأيهم بقوله عز وجل: ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة : ٢٥٦].

وللرد على هذه الشبهة نقول :

أوْلاً: عدم وجود ((الحرية الشخصية)) المزعومة .

لنا أن نسال أصحاب هذا القول : أين تلك ((الحرية الشخصية)) المزعومة ؟ أفي مشارق الأرض أم في مغاربها ؟هل وجدتموها في أنظمة شرقية أم في أنظمة غربية ؟ كلا ، لا عند هؤلاء ، ولا عند أوْلئك . يُطالب المرء بالخضوع والامتثال لقواعد و أنظمة على رغم أنفه حيثما حل وارتحل. هل يُسمح لأحد في الشرق أوْ الغرب أن يعبر التقاطع وإلّاشارة حمراء ؟ هل يُعطى في الغرب لأحد حق بناء بيت بماله الذي اكتسبه بكد جبينه على الأرض التي اشتراها بخالص ماله كيفما شاء من غير مراعاة الضوابط التي وضعتها أمانة تلك المدينة التي هو فيها ؟ و الأمر في الشرق ادهى وأمر ، ليس له أن يملك بيتا.

ثانياً : المفهوم الإسلامي للحرية الشخصية :

الحرية الشخصية التي منحها الإسلام للعباد هي أنه أخرج العباد من عبودية العباد ، ولا يعني هذا إخراجهم من عبودية رب العباد ، ما أحسن ما عبر القرآن الكريم عن هذا : ﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَان مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أكثرهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الزمر : ٢٩].

---

(١) – كتاب شبهات حول الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، الدكتور /فضل الهى.

فالمطلوب في الإسلام أن يتحرر العبد من كل من سوى الله ويصير عبدا منقادا مطيعا مستسلما لله الوأحد الخالق المالك المدبر . وهذا ما عبّر عنه الصحابي الجليل ربعي بن عأمر ﷺ ، مجيبا على سؤال رستم بقوله : (الله ابتعثنا ، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلي عبادة الله).

ثالثا: الخطأ في فهم الآية: ﴿ لا إكراه في الدين ﴾:

ليس معنى الآية بأن للناس كلهم فعل ما يشاءون وترك ما يشاءون ، وليس لأحد إلزامهم على فعل الخير الذي تركوه أوْ اجتناب الشر الذي فعلوه ، بل المراد بالآية – والله أعلم بالصواب – كما يقول الحافظ ابن كثير : (أي لا تكرهوا أحدا على الدخول في الإسلام).

وحتى هذا ليس لغير المسلمين كلّهم بل رجّح كثير من المفسرين بأن هذا الحكم خاص بأهل الكتاب ومن شابههم. وأما عبدة الّأوْثان من مشركي العرب ومن شابههم فلا يُقبَل منهم إلّا الإسلام أوْ القتال معهم .

رابعا : ثبوت وجوب الحسبة بنصوص الكتاب والسنة :

أن هؤلاء أخذوا آية واحدة وحاوْلوا تأوْيلها وفق أهوائهم وتجاهلوا تلك النصوص الكثيرة الصريحة الواضحة التي لا تترك مجالّا للشك والتردد في فرضيّة الحسبة. أين هؤلاء من تلك النصوص التي وردت فيها صيغة أمر للقيام بالاحتساب، وصيغة نهي للمنع عن تركه ؟ وذلك مثل قوله تعالي: ﴿ **ولتكن منكم أمَّة يدعون إلي الخير ويأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وأوْلئك هم المفلحون**﴾ [ال عمران : ١٤٠] ، وعَنْ عَائِشَةَ ــ رضي الله عنها ــ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ أن قَدْ حَضَرَهُ شَيْءٌ فَتَوَضَّأا وَمَا كلّم أحدا ثُمَّ خَرَجَ فلصقتُ بِالْحُجْرَةِ اسْمَعُ مَا يَقُولُ فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: (يَا أيها النَّاسُ أن الله تبارك تعالي يَقُولُ لَكُمْ: مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ قَبْلَ أن تَدْعُونِي فَلَا أجيبكم وَتَسْأَلُونِي فَلَا أعْطِيكُمْ وَتَسْتَنْصِرُونِي فَلَا أنصرُكُمْ) فَمَا زَادَ عليهنَّ حتى نزل » [1].

[1] ضعيف : ((التعليق الرغيب)) (٣/ ١٧٢) ، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١/ ٣٤٠) ،

خامسا : تشريع الحدود والتعزيرات ينقض هذه الشبهة :

إذا سيكون موقف هؤلاء من الحدود والتعزيرات التي شُرِعت لمعاقبة مرتكبي بعض الجرائم ؟ أيردون تلك النصوص الثابتة الصريحة التي جاء فيها بيانها ؟ . ومن تلك النصوص– على سبيل المثال – ما جاء فيها من عقوبة الزاني : « عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا، الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ، وَالرَّجْمُ» [1].

(البكر بالبكر والثيب بالثيب) ليس هو على سبيل الاشتراط بل حد البكر الجلد والتغريب سواء زنى ببكر أم ثيب وحد الثيب الرجم سواء زنى بثيب أم ببكر فهو شبيه بالتقييد الذي يخرج على الغالب .

الشبهة الثانية: ((ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث لا يضرنا ضلال الضالين))

يقول بعض الناس: لا يجب علينا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث أمرنا الله تعالي بالإهتمام بأنفسنا وبّين أنه لا يضرنا ضلال الآخرين واستدلوا على ذلك بقوله تعالي: ﴿ **يَا أيهَا الَّذِينَ امَنُوا عَلَيْكُمْ أنفسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذا اهْتَدَيْتُمْ إلي اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [المائدة : ١٠٥] .

الرد على الشبهة من جانبين :

أوْلاً : كشف النقاب عن حقيقة الشبهة من الآية نفسها :

لو تدبر أصحاب هذه الشبهة في الآية نفسها لما نطقوا بها . اشترط الله تعالي لعدم إصابة الضرر بسبب ضلال الآخرين أن يكون الشخص مهتديا حيث قال تعالي : ﴿ **لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم** ﴾ . ولا يصير الشخص مهتديا إلّا إذا أدى ما أوْجبه الله عليه . وممّا أوْجب عليه أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر . فالذي لا يقوم بهذا لا يكون

---

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٣١٦) حديث رقم (١٦٩٠) .

مهتديا لأن فوات الشرط يستلزم فوات المشروط . وقد بيّن هذا بعض الصحابة والتابعين وكثير من المفسرين والعلماء القدامى والمتأخرين .

فعلى سبيل المثال فقد نقل الإمام ابن جرير الطبري عن حذيفة رضـي الله عنـه في تفسير هذه الآية أنه قال: (إذا أمرتم ونهيتم) [1]، كما نقل الإمام الطبري عن سعيد بـن المسيب في تفسير الآية أنه قال : (إذا أمرت بالمعروف ، ونهيت عن المنكر ، لا يضرك من ضل إذا اهتديت).

ثانياً: تفنيد الشبهة بالنصوص الآخرى :

وردت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تبيّن أنه مما يجب على الصالحين تجاه اعمال الآخرين السيئة تذكيرهم ومنعهم عنها. وأن لم يفعلوا هذا يوشك أن يتزل عليهم غضب الله فيدعونه فلا يستجيب لهم.

ومن تلك النصوص قوله تعالي: ﴿ **وَإذا رَأيتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي أياتِنَا فَـأعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإما يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَأن فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ [إلّانعام : ٦٨]

الشبهة الثالثة: ((ترك الحسبة بسبب التقصير والنقص))

يقول بعض الناس : (حيث لا نقوم بكل ما أمرنا به ولا نجتنب كل مانُهينا عنه ، لذا يجب علينا أن نهتم بأنفسنا بدل أمر الآخرين بالمعروف ونُهيهم عن المنكر).واحـتج أصحاب هذا القول بالمنقول والمعقول .

أما المنقول فقالوا: ذم الله تعالي من أمر الناس بالمعروف ونسي نفسه، وذلك في قوله تعالي : ﴿ **أتَأمرونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أنفُسَكُمْ وَأنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾[سورة البقرة: ٤٤].

وقوله تعالي: ﴿ **يَا أيهَا الَّذِينَ امَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّـهِ أن تَقُولُوا مَا لَا تَفعَلُونَ** ﴾ [الصف : ٢، ٣]

كما بيّن رسول الله ﷺ سوء عاقبة هؤلاء ، فقد روى الإمام البخاري عن أسامَّة رضي الله

[1] تفسير الطبري = (١١/ ١٤٨) . جامع البيان في تأويل القران ، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الاملي، ابو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ، المحقق: احمد محمد شاكر ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الاولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

عنه قال : سمعت من رسول ﷺ يقول : يُجَاءُ بِرَجُلٍ فَيُطْرَحُ فِي النَّارِ، فَيَطْحَنُ فِيهَا كَطَحْنِ الحِمَارِ بِرَحَاهُ، فَيُطِيفُ بِهِ أهل النَّارِ فَيَقُولُونَ: أي فُلان، أَلَسْتَ كُنْتَ تَأمر بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: إِنِي كُنْتُ آمر بِالْمَعْرُوفِ وَلا أَفْعَلُهُ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَفْعَلُهُ » [١].

وأما المعقول فقالوا: فاقد الشيء لا يعطيه. من يستجيب لمن يأمر بمعروف و لا يأتيه، وينهى عن منكر ويأتيه؟

الرد على هذه الشبهة:

أوْلاً/ سبب الذم هو : ترك المعروف وليس الأمر بالمعروف :

هناك واجبان :

١. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ٢. فعل المعروف وترك المنكر .

وأن النصوص التي احتج بها أصحاب هذه الشبهة ليس فيها ذم بسبب القيام بالواجب الأوْل بل فيها ذم بسبب ترك القيام بالواجب الثاني. لم يُنكر فيها بسبب أمر الناس بالبر ، ونهيهم عن المنكر ، والتلفظ بالقول الطيب ، بل أنما أنكر فيها بسبب نسيان الأنفس ، وترك المعروف وارتكاب المنكر ، وعدم الفعل وفق القول الطيب.

فعلى سبيل المثال هناك طالب نجح في مادة ((التفسير)) ورسب في مادة ((الحديث)) هل يُعقل توجيه اللوم بسبب النجاح في مادة التفسير ؟ إنما يُلام بسبب رسوبه في مادة الحديث .

ثانياً : ترك أحد الواجبين ليس مبررا لترك الواجب الثاني :

أن الواجبين اللذين ذكرناهما ليس أحدهما شرطا للثاني فيكون ترك أحدهما مبررا لترك الثاني . يقول الإمام النووي بأسلوب آخر: ((قال العلماء : ولا يُشترط في الآمر والناهي أن يكون كامل الحال ممتثلا ما يأمر به مجتنبا ما نهى عنه ، بل عليه الأمر وإن كان مخلا بما يأمر به ، والنهي و أن كان متلبِّسا بما ينهى عنه فأنه يجب عليه شيئأن : أن يأمر نفسه وينهاها ، ويأمر غيره وينهاه فإذا أخلَّ بأحدهما كيف يُباح له الإخلال بالآخرة))[٢].

---

[١] صحيح البخاري (٩/ ٥٥) حديث رقم (٧٠٩٨) .

[٢] شرح النووي على مسلم (٢/ ٢٣) ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، المؤلف: ابو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) ، الناشر: دار احياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ .

ثالثا : الأخذ بهذا القول يؤدي إلي تعطيل الاحتساب :

لو اشترطنا للأمر والناهي أن يكون فاعلا لكل ما أمر به ومجتنبا كل ما نُهي عنه لن تجد من يقوم بالاحتساب ، وبهذا يتعطّل هذا الواجب العظيم . وقد نّبه علماء الأمَّة إلي هذا الأمر ، فقال سعيد بن جبير : (لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر).

رابعا : عدم جدوى احتساب غير الكامل ليس بأمر دائم :

لا شك أن دعوة الكامل أشد وقعا في النفوس وأكثر استجابة من دعوة غير الملتزم لكن القول بأن دعوة غير الكامل أوْ احتسابه عديم الجدوى دائما غير صحيح . كم من أنبياء الله الكاملين الملتزمين لم تؤثر دعوتهم في أقرب أقاربهم . لم يستجب لنداء رسول الله نوح عليه السلام ابنه ، كما لم يستفد من دعوة خليل الله إبراهيم عليه السلام ابوه ، و لم تقبل قول نبي الله لوط عليه السلام زوجته ، كما لم يحوِّل نصح أكمل خلق الله تعالي محمد ووعظه عمِّه أبا طالب إلي الإسلام .

وكم من أنبياء الله الكاملين دعوا أقوامهم فما آمن معهم إلّا قليل ، بل منهم من لم يؤمن به أحد، وعلى العكس من هذا كم من أصحاب الدعوات الفاسدة – المخالفين لأقوالهم بأفعالهم – نرى لهم اتباعا كثيرين وكم من دعاة حرمة الإنسان وحريته يجدون أنصارا كثيرين مع أنهم من أشد الناس أنتهاكا لحرمته وحريته وكم من حماة لحقوق العمال والشعوب – على حسب زعمهم – ولهم اتباع كثيرون رغم كونهم من أكثر الناس هضما لحقوقهم .

فخلاصة القول ليس لأحد أن يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحجة أن احتسابه لا يفيد بسبب تقصيره فلربما يفيد المقصرّ حيث لأيفيد فيه من هو أحسن منه حالاً .

تنبيه :

لا يُفهم بما ذُكر بأننا لا نرى بأسا في ترك المعروف وفعل المنكر للأمر بالمعروف والناهي عن المنكر ، بل نؤكد أنه يجب عليه فعل المعروف وترك المنكر ، و أنه يعرض نفسه لغضب الله تعالي عند التساهل في هذا . ونقرر أيضا بأنه ينبغي أن يكون أوْل فاعل لما يأمر به، وأوْل تارك لما ينهى عنه كما كان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم.

غأية ما في الأمر أن فعل المعروف وترك المنكر ليس شرطا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلا يُقال لمن أمر بالمعروف و لم يفعله أوْ نهى عن المنكر وفعله : ((لا تأمر بالمعروف ولا تنه عن المنكر))، بل نقول له : ((استمر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واتق الله تعالي في نفسك فمرها بالمعروف وأنهها عن المنكر)).

الشبهة الرابعة : ((ترك الاحتساب بسبب عدم استجابة الناس))

يقول بعض الناس : (ينبغي أن لا نضيع جهودنا و أوْقاتنا في أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر حيث أنهم لا يستجيبون).

الرد على الشبهة :

أوْلاً : لا يُشترط لوجوب الاحتساب قبول الناس :

لم يشترط الله تعالي ولا رسوله لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استجابة الناس ، بل أوْجب الله تعالي على نبيه الكريم وعلى أمته تبليغ الناس أوْامره ونواهيه سواء استجابوا أم لم يستجيبوا . وقد وردت نصوص كثيرة تبيّن هذا . منها على سبيل المثال قوله تعالي : ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** ﴾ [النور : ٥٤] .

ومنها قوله تعالي :﴿ **فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** ﴾ [آل عمران : ٢٠] .

ثانياً : الحكم على الناس بعدم الإستجابة من الأمور الغيبية :

إن الحكم على الناس بأنهم لا يستفيدون من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأمور الغيبية التي لا يعرفها إلّا العليم الخبير . إن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع رب العباد ، يقلّبها متى شاء وكيف ما شاء . وما أسهل على الله تعالي تقليبها .

فقد روى الإمام مسلم عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، يَقُولُ: أنهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «أن قُلُوبَ بَنِي ادَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَأحد، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ» [1] .

وكم من أشخاص يراهم الناس من اتقى الناس فيتحولّون إلي أفسق الناس ، وكم من أفسق الناس ياتيهم الموت وهم من اتقى الناس . هذه حقيقة نقرؤها في سير الناس ، ونشاهدها في حياتنا اليومية ، وبيّنها الصادق المصدوق الناطق بالوحي ﷺ ، فعنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ: أن رَجُلًا مِنْ أعظم الْمُسْلِمِينَ غَنَاءً عَنِ الْمُسْلِمِينَ، فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَنْ أحَبَّ أن يَنْظُرَ إلي الرَّجُلِ مِنْ أهل النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إلي هَذَا» فَاتَّبَعَهُ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الحَالِ مِنْ أشد النَّاسِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، حَتَّى جُرِحَ، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَجَعَلَ ذُبَابَةَ سَيْفِهِ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ، فَأقْبَلَ الرَّجُلُ إلي النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْرِعًا، فَقَالَ: أشْهَدُ أنكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: «وَمَا ذَاكَ» قَالَ: قُلْتَ لِفُلان: «مَنْ أحَبَّ أن يَنْظُرَ إلي رَجُلٍ مِنْ أهل النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إليه» وَكان مِنْ أعظمنَا غَنَاءً عَنِ الْمُسْلِمِينَ، فَعَرَفْتُ أنهُ لا يَمُوتُ عَلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا جُرِحَ اسْتَعْجَلَ المَوْتَ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: «أن العَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أهل النَّارِ وَأنهُ مِنْ أهل الجَنَّةِ، وَيَعْمَلُ عَمَلَ أهل الجَنَّةِ وَأنهُ مِنْ أهل النَّارِ، وَأنمَا الأعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ» [2] . اسأل الله لي ولكم حسن الخاتمة ،فإذا كان البشر يجهل خواتيم الآخرين فكيف يسوغ له أن يفترض أنهم لا يجيبون، ويترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استنادا إلي هذا الافتراض؟

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٥) حديث (٢٦٥٤) .

(٢) صحيح البخاري (٨/ ١٢٤) حديث (٦٦٠٧) . كتاب القدر ، بَابٌ: العَمَلُ بِالخَوَاتِيمِ .

ثالثا : وجوب التأسي بالرسول الكريم في هذا الأمر :

جعل الله تعالي في رسوله الكريم أسوة لنا حيث يقول عز من قائل : ﴿ **لَقَدْ كان لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كان يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخر وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾ [إلّاحزاب : ٢١] .

فلنا أن نسأل أصحاب هذه الشبهة : هل ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نظـــرا لعدم استجابة الناس ؟

كلا ، بل استمر صلوات الله وسلامه عليه في ذلك في أشد إلّاحوال واصعبها راجيا من الله هدأية المخاطبين ، بل هدأيـــة أجيـــالهم القادمـــة إن لم يســـتجب الجيـــل الموجـــود . وسيرته الطاهرة تدل على هذا .

٧. نماذج من احتساب النبي ﷺ :

قد جعل الله تعالي الاحتساب شعار هذه الأمَّة ومناط خيريتها، فقال تعالي: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أمَّة أخرجَتْ لِلنَّاسِ تَأمرونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَر** ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وابأن عز وجل أن القيام به عنوأن السعادة وبوابة الفلاح، وأن تركه سبيل استحقاق لعنته، والطرد مـــن رحمته فقال أمرا به: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أمَّة يَدْعُونَ إلي الْخَيْرِ وَيَأمرونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَـــنِ الْمُنكَرِ وَأوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [ال عمران: ١٠٤]، وقال عز من قائل: ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي اسْرَائِيلَ عَلَى لِسَان دَأوْدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكانوا يَعْتَدُونَ * كانوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كانوا يَفْعَلُونَ** ﴾[المائدة: ٧٨ - ٧٩].

وأوْضح النبي الكريم ﷺ أن القيام به شرطٌ للنجاة، وأن الإعراض عنه سببٌ للـــهلاك، وتعرُّضٌ للعقوبة، وحرمان من إجابة الدعوة فقال ﷺ: « مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِـــعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأصَابَ بَعْضُهُمْ أعْلاهَا وَبَعْضُهُمْ أسْفَلَهَا، فَكان الَّذِينَ فِي أسْفَلِهَا إذا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أنا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإن يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَأن أخذوا عَلَى أيدِيهِمْ نَجَـــوْا، وَنَجَـــوْا جَمِيعًا» [(١)].

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٣٩) حديث (٢٤٩٣) .

(القائم على حدود الله) المستقيم مع أوْامر الله تعالي ولا يتجاوْز ما منع الله تعـــالي منه والأمر بالمعروف الناهي عن المنكر. (الواقع فيها) التارك للمعروف المرتكب للمنكـــر. (استهموا) اقترعوا ليأخذ كل منهم سهما أي نصيبا. (أخذوا على أيديهم) منعوهم مـــن خرق السفينة .

وأمام ذلك الترغيب العظيم والتهديد الشديد بادر المصلحون على إمتداد تـــاريخ الأمَّـــة الطويل على اختلاف مواقعهم إلي الاحتساب في كافة مستويات المجتمع وطبقاته، ولكثرة الشواهد وسعتها فساكتفي بذكر بعض ذلك من خلال سيرة النبي ﷺ وحياته العطرة، من خلال ما يلي:

١. احتساب النبي ﷺ في محيطه الأسري:

لم تُلْهِ المهام الجسام التي كانت موكلة بنبينا الكريم ﷺ من تعليم الناس الكتاب والحكمـــة، وتدبير شؤون الأمَّة، ومواجهة الأخطار المحدقة بها، والإنكسار بين يدي ربه أناء الليل واطـــراف النهار ـــ لم تلهه ﷺ عن تربية أسرته الكبيرة، وتوجيهها إلي الابتعاد عما يُغضِب ربها، ويحـــول بينها وبين الظفر برحمته ـــ عز وجل ـــ واحسانه، ومن ذلك: ما روت عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ قالت: دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي البَيْتِ قِرَامٌ فِيهِ صُوَرٌ، فَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ ثُمَّ تَنَاوَلَ السِّتْرَ فَهَتَكَهُ، وَقَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أن مِنْ أشد النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَّة الَّذِينَ يُصَوِّرُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ» [1]، وما روته ـــ رضي الله عنها ـــ قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبك مـــن صفية كذا وكذا – تعني قصيرة [2]– فقال: «لقد قلتِ كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته، قالت: وحكيتُ له إنسانا، فقال: ما أحب أني حكيت إنسانا وأن لي كذا وكذا»، وما رواه خادمه أنس ـــ رضي الله عنه ـــ قال: « وَعَنْ أنسٍ قَالَ: بَلَغَ صَفِيَّةَ أن حَفْصَةَ قَالَتْ: بِنْتُ يَهُـــودِيٍّ فَبَكَـــتْ فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ تَبْكِي فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكِ؟» فَقَالَـــتْ: قَالَـــتْ لِـــي حَفْصَةُ: أني ابْنَةُ يَهُودِيٍّ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلم: «أنك ابْنة نَبِيٍّ وَأن عَمَّكِ لَنَبِيٌّ وَأنـــكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ فَفِيمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ؟» ثُمَّ قَالَ: «اتَّقِي اللَّهَ يَا حَفْصَة» [3]

(١) صحيح البخاري (٨/ ٢٧) حديث رقم (٦١٠٩) .

(٢) رواه ابو داود الترمذي وقال: حديث حسن صحيح ، تحقيق رياض الصالحين للالباني (ص: ٥٢٣) .

(٣) صحيح : رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ ، ينظر مشكاة المصابيح (٣/ ١٧٤٥) حديث رقم (٦١٩٢) .

٢. احتساب النبي ﷺ ، على أصحابه المحيطين به:

عُني رسول الله ﷺ بتزكية أصحابه الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - وبخاصة القريبين منه، المكثرين من خلطته، وعمل على تنقيتهم من المعاصي والذنوب، وتحليتهم بالفضائل من أعمال القلوب والجوارح، مبادرا إلي نهيهم عن كل خطا يراه عليهم أوْ زلة يستجرهم إليها الشيطان برفق ولين ينبتان المحبة دون تنفير، وحكمةٍ تبني دون أن تهدم، ومن ذلك ما رواه ابو ذر رضي الله عنه قال: « إني سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إنكَ أمرؤٌ فِيكَ جَاهلِيَّةٌ، إخْوَانكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أيدِيكُمْ، فَمَنْ كان أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِن كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ» [١] .

(سابت) شاتمت. (رجلا) هو بلال الحبشي رضي الله عنه. (فعيرته) نسبته إلي العار. (بامه) بسبب امه وكانت سوداء فقال له يا ابن السوداء. (فيك جأهلية) خصلة من خصال الجأهلية وهي التفآخر بالآباء. (إخوانكم خولكم) الذين يخولون أموركم - أي يصلحونها - من العبيد والخدم هم إخوانكم في الدين أوْ الآدمية. (تحت أرجلكم) في رعايتكم وتحت سلطانكم. (يغلبهم) يعجزون عن القيام به .

وحديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن قُرَيْشًا أهمهُمْ شَأن المَرْأةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أسَامَة بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ أسَامَة، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: أنما أهلكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أنهُمْ كانوا إذا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإذا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَأيمُ اللَّهِ لَوْ أن فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا » [٢].

---

(١) صحيح البخاري (١/ ١٥) حديث رقم (٣٠) ،

(٢) صحيح البخاري (٤/ ١٧٥) حديث رقم (٣٤٧٥) ، اخرجه مسلم في الحدود باب قطع السارق الشريف وغيره رقم ١٦٨٨

(أهمهم) احزنهم واثار اهتمامهم. (شأن. .) حالها وأمرها. (المخزومية) نسبة إلي بني مخزوم واسمها فاطمة بنت إلّاسود وكانت سرقت حليا يوم فتح مكة. (حـــب) محبـــوب. (أتشفع في حد) تتوسل أن لا يقام حد فرضه الله تعالي والحد عقوبة مقدرة من المشـــرع. (الشريف) الذي له شأن في قومه بسبب مال أوْ نسب أوْ عشيرة. (الضعيف) من ليس له عشيرة أوْ وجاهة في قومه. (وأيم الله) لفظ من ألفاظ القسم أصلها وأيمـــن الله فحـــذفت النون تخفيفا وقد تقطع الهمزة وقد توصل .

وحديث أبي مسعود البدري ــــ رضي الله عنه ــــ قال: « كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَاما لِـــي بِالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي، «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ»، فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ، قَالَ: فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إذا هُوَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإذا هُوَ يَقُولُ: «اعْلَـــمْ، أَبَـــا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ»، قَالَ: فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي، فَقَالَ: «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، أن اللهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ»، قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ ابَدًا » [١].

٣. احتساب النبي ﷺ على ذوي الفضل من العلماء والعُبَّاد:

لأهل العلم وأرباب الطاعة والمستكثرين من العبادة شأن رفيع، ومترلة ســـامقة في هذه الأمَّة، ولكن ذلك لم يَحُلْ بين النبي ﷺ وبين الإنكار عليهم، ومواجهة أحدهم حينما يقع في خطأ أوْ يصدر منه زلل دون أن يُترلهم ذلك عن رتبهم أوْ يحط من أقدارهم، ومن شواهد ذلك: حديث جابر ﷺ : « أن مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ يَأْتِي قَوْمَهُ فَيُصَلِّي بِهِمُ الصَّلاةَ، فقرأ بِهِمُ البَقَرَةَ، قَالَ: فَتَجَـــوَّزَ رَجُلٌ فَصَلَّى صَلاةً خَفِيفَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذا، فَقَالَ: أنهُ مُنَافِقٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّجُلَ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إنّا قَوْمٌ نَعْمَلُ بأيدِينَا، وَنَسْقِي بنَوَاضِـــحِنَا، وَأن مُعَاذا صَلَّى بِنَا البَارِحَةَ، فقرأ البَقَرَةَ، فَتَجَوَّزْتُ، فَزَعَمَ أني مُنَافِقٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَا مُعَاذُ، افَتَّان أنتَ – ثَلاثًا – اقْرَا: وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى وَنَحْوَهَا » [٢].

---

[١] صحيح مسلم (٣/ ١٢٨٠) حديث (١٦٥٩) .

[٢] صحيح البخاري (٨/ ٢٧) حديث رقم (٦١٠٦) .

(فتجوز) خفف وقيل إنحاز وصلى وحده. (بنواضحنا) جمع ناضح وهو البعير الذي يستقى عليه .

وعَنْ أنسٍ، أن نَفَرًا مِنْ أصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَالُوا أزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أنامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللهَ وَأثْنَى عَلَيْهِ. فَقَالَ: «مَا بَالُ أقوام قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أصَلِّي وَأنامُ، وَأصُومُ وَأفْطِرُ، وَاتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » (١).

٤. احتساب النبي ﷺ على الأمراء وأصحاب الولايات:

عقد النبي ﷺ ، الوية الإمارة لجماعة من أصحابه الكرام ﷺ ممن توسَّم فيهم القدرة على القيادة، وسياسة الآخرين، والقيام بالمهام الموكلة إليهم بإتقان وأمانة، ولكن توليته –صلى الله عليه وسلم– لتلك الفئة المتميزة، وثقته الكريمة بها لم تَحُلْ بينه وبين أن ينكر على أحدهم ما قد يقع منه من خطأ ومخالفةٍ لنهج الصواب، ومن ذلك حديث علي ﷺ : أن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ جَيْشًا، وَأمّر عَلَيْهِمْ رَجُلًا فَأوْقَدَ نَارًا وَقَالَ: ادْخُلُوهَا، فَأرَادُوا أن يَدْخُلُوهَا، وَقَالَ آخرونَ: إنَمَا فَرَرْنَا مِنْهَا، فَذَكَرُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِلَّذِينَ أرَادُوا أن يَدْخُلُوهَا: «لَوْ دَخلُوهَا لَمْ يَزَالُوا فِيهَا إلي يَوْمِ القِيَأمَّة»، وَقَالَ لِلْآخرينَ: «لا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ، إنمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ» (٢).

وحديث أبي حميد الساعدي ﷺ ، قال: « استَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ، يُدْعَى ابْنَ الُّتْبِيَّةِ، فَلَمَّا جَاءَ حَاسَبَهُ، قَالَ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أبيكَ وَأمِّكَ، حَتَّى تَأتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إن كُنْتَ صَادِقًا» ثُمَّ خَطَبَنَا، فَحَمِدَ اللَّهَ وَاثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: " أما بَعْدُ، فَإنِي اسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى العَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي اللَّهُ، فَيَأتِي فَيَقُولُ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ اهْدِيَتْ لِي، أفَلا جَلَسَ فِي بَيْتِ

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ١٠٢٠) حديث (١٤٠١) .

(٢) صحيح البخاري (٩/ ٨٨) حديث (٧٢٥٧) .

أبِيهِ وَأمِّهِ حَتَّى تَأتِيَهُ هَدِيَّتُهُ، وَاللَّهِ لا يَأخذ أحد مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَلَأعْرِفَنَّ أحدا مِنْكُمْ لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أوْ شَاةً تَيْعَرُ " ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطِهِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ» بَصْرَ عَيْنِي وَسَمْعَ إذني » [1].

(فلأعرفن) أي والله لاعرفن. (بصر عيني وسمع إذني) ابصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم ناطقا ورافعا يديه وسمعت كلامه .

٥. احتساب النبي ﷺ ، على عامَّة المجتمع:

لم تَحُلْ مشاغل النبي ﷺ ، العظيمة وأعماله الجسيمة بينه وبين الاحتساب على فئات المجتمع قليلة المخالطة له ﷺ ، حين يحصل داعٍ لذلك، ومن الشواهد: حديث أبِي هُرَيْرَةَ أن رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ أصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «أفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي» وحديث سلمة بن الأكوع ﷺ ، «أن رجلا أكل عند رسول الله ﷺ ، بشماله، فقال: كُلْ بيمينك! قال: لا أستطيع، قال: لا استطعتَ. ما منعه إلّا الكِبْر، قال: فما رفعها إلي فيه» [2] .

(صبرة طعام) قال الأزهري الصبرة الكومة المجموعة من الطعام سميت صبرة لافراغ بعضها على بعض ومنه قيل للسحاب فوق السحاب صبير ، (أصابته السماء) أي المطر .

وحديث ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ « أن رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأي خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ، فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ، وَقَالَ: «يَعْمِدُ أحدكُمْ إلي جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ»، فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خُذْ خَاتِمَكَ أنتَفِعْ بِهِ، قَالَ: لَا وَاللهِ، لَا أخذهُ ابَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » [3].

---

(١) صحيح البخاري (٩/ ٢٨) حديث (٦٩٧٩) .

(٢) صحيح مسلم (١/ ٩٩) حديث (١٠٢) .

(٣) صحيح مسلم (٣/ ١٦٥٥) حديث (٢٠٩٠) .

قال النووي : قَوْلُهُ (رأي خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ) فِيهِ إِزَالَةُ الْمُنْكَرِ بِالْيَدِ لِمَنْ قَدَرَ عَلَيْهَا وَأما قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ نَزَعَهُ مِنْ يَدِ الرَّجُلِ يَعْمَدُ أحدكُمْ إلي جَمْـرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ) فَفِيهِ تَصْرِيحٌ بِأن النَّهْيَ عَنْ خَاتَمِ الذَّهَبِ لِلتَّحْرِيمِ ، وَأما قَوْلُ صَـاحِبِ هَذَا الْخَاتَمِ حِينَ قالوا له خذه لاأخذه وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفِيهِ الْمُبَالَغَةُ فِي امْتِثَالِ أمر رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ وَعَدَمِ التَّرَخُّصِ فِيهِ بِالتأويلات الضَّعِيفَةِ ثُمَّ أن هَذَا الرَّجُلَ إِنَّمَا تَرَكَ الْخَاتَمَ عَلَى سَبِيلِ الإِبَاحَةِ لِمَنْ أَرَادَ أخذهُ مِنَ الْفقراءِ وَغَيْرِهِمْ وَحِينَئِـذٍ يَجُوزُ أخذهُ لِمَنْ شَاءَ فَإذا أخذهُ جاز تصرفه . [1]

وحديث عبد الله بن جعفر ــ رضي الله عنهما ــ أن رسول الله ﷺ: «دخل حائطا لرجل من الأنصار، فإذا جملٌ، فلما رأي النبيَّ ﷺ حنَّ، وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسـح ذِفْـرَاه فسكت، فقال: مَنْ ربُّ هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال:لي يا رسول الله! فقال:أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك الله أياها؟ فأنه شكا إليَّ أنك تجيعه تُدْئِبُه» [2].

وبالجملة: فقد كانت الحسبة والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مكوِّنا أساسا مـن مكونات شخصية النبي ﷺ ، لم تفارقه في كل أدواره ومواقفه، وفي كافة صِلاته وعلاقاتـه، وفي جميع مواقع وجوده، وهو موضع عظيم للتاسي والإقتداء فهمه الصحابة الكرام ومارسوه في عامَّة أحوالهم وأدوارهم حتى في الحالاَت الخاصة؛ كحداثة الإسلام كما في قصة الطفيل بـن عمـرو الدوسي، الذي من حين أسلم خرج مسرعا إلي قومه داعيا لهم ومحتسبا عليهم، حتى أقلـع عـن الشرك والمنكرات معه من قبيلته دوس العدد الغفير ، وكحالاَت المرض الشديد كما في قصة عمر ــ رضي الله عنه ــ حين دخل عليه في مرض موته شابٌ يعوده، فلم يلهه فراش الموت والتفكير في كيفية تدبير شأن الدولة من بعده أن يأمر الفتى برفع الإزار وترك الإسبال.

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٤/ ٦٥)

(٢) رواه ابو داود (١ / ٤٠٠) والحاكم (٢ / ٩٩ - ١٠٠) واحمد (١ / ٢٠٤ - ٢٠٥)، قال الالباني : اسناده صحيح على شرط مسلم، وصححه الحاكم والذهبي والضياء. واخرج مسلم اوله ، ينظر : صحيح ابي داود - الام (٧/ ٣٠٢) باب ما يُؤْمَرُ به من القيام على الدوابِّ والبهائم .